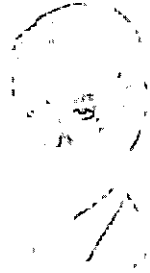


النبأ على ثلاثة عشر



بقلم : محمود لطفى

obeikandi.com



كانت المسافة التي تفصلني عن فريد الأطرش هي نفسها المسافة التي تفصل بين الجمهور . . وبين الفنان !
كنت واحداً من جمهوره . . وواحداً من المعجبين بفنه .
ثم التقيت بفريد معنوياً قبل أن ألتقي به في الواقع بخمس عشرة سنة !
لقد تم اللقاء بغير موعد . . وانتهى بغير وداع . . ومن يومها لم يخرج فريد من قلبي دقيقة واحدة !
كنت مجرد تلميذ في البكالوريا (الثانوية العامة الآن) . . وفي ذلك اليوم من صيف سنة ١٩٤٤ كنت أضع أذني على جهاز الراديو ، مثل الآف غيري .
إننا لم نكن متلهفين على سماع فقرة إذاعية ، أوحى أغنية . . فالخبر الذي نحن جميعاً في انتظاره . . كان هو أحلى أغنية !
فعلى عادة الإذاعة وقتها . . كان يوم إعلان النتيجة . . هو اليوم الذي تذيع فيه الإذاعة أرقام جلوس الطلبة الناجحين . . كأسرع طريقة في نقل خبر النجاح اليوم .
وانتظرنا الإذاعة بقلوب ترتعش . . وصبر فارغ .
كان الوقت هو الثالثة عصراً . . والمكان هو شبين الكوم عاصمة محافظة المنوفية .

لقد إنتهى المذيع من قراءة نشرة الأخبار ، ثم بدأ فى التعليق على الأنباء ، ثم إنتهى التعليق على النبأ ، ثم .
غنى فريد الأطرش .

كانت الأغنية وقتها هى : عشك يا بلبل !
وكان إحساسى بالأغنية مؤجلاً تماماً ، لأننى أريد أن أطمئن بسرعة على مصرى بين الناجحين .

ثم بدأت الإذاعة . وعرفت خبر نجاحى ، وبعدها . . . عدت من جديد إلى إحساسى بأغنية فريد الأطرش !

من يومها أصبح فى داخلى إحساس غامض وعام بالتفاؤل من أى شىء يوجد فيه فريد الأطرش ! إنتى لم أكن أعلم بعد أن الظروف سوف تشاء لى بعدها بخمس عشرة سنة أن أكون محامياً لفريد . . . ثم صديقاً له . . . وشريكاً له فى « الحلوة والمرّة » لمدة خمس عشرة سنة أخرى . . . إلى أن انتقل إلى رحمة الله فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٧٤ .

وخلال تلك الفترة الطويلة أستطيع أن أقول إنى لم أعرف فيه فقط مجرد فنان أو صديق ولكن الأهم من ذلك . أننى عرفت فيه أطيب قلب . . . وأرق إنسان . . . وأعز أخ .

فى الواقع أن فريد كان يمثل التطرف فى كل شىء : فهو إما صديق . . . أولاً . . . وإما مخلص محب أولاً . . . وإما يحب أولاً . . . ولكن لم يعرف الخيانة فى حياته ولم يعرف الغش فى حياته . . . ولم يعرف الكراهية فى حياته .

كان يحب كل الناس ويتأثر من أية كلمة ولو صغيرة . . . كان يصدق أى كلام يقال له . . . ليس عن غفلة أو عته ولكن لأنه يثق فى كل من حوله . . . ولا يستطيع أن يصدق أنه يوجد إنسان يكذب . . . وإذا كان يكذب على كل الناس

فعليه هو لا . . ولكن إذا تأكد في أى يوم أن صديقاً كذب عليه . . فإن هذا الصديق لا يوجد له مكان بجواره . . ولا يقبل منه أى عذر .

كان يحب المواعيد . . ويحترم المواعيد . . ويكره من يزوره من غير ميعاد . . بل إنى رأيته يرفض مقابلة شخصية كبيرة حضرت له دون ميعاد . . ولم أستطع أن أقنعه بأن الرجل لم يعرف رقم تليفونه . . وأنه كان عابراً بالقاهرة ورأى أن يزوره زيارة حب وتقدير . . ورفض .

كان يكره اللثام . . صريحاً يقول ما يعتقد ويقول ما يدور بذهنه وعلى الجملة تفكيره كان دائماً بصوت عال . .

كان محبوباً في العالم العربى جداً لا أستطيع أن أصفه . . كان في كل مكان حتى في أوروبا تجمد المعجبين به وقد أخرجوا صوره من جيوبهم وقدموها له ليقع عليها . . كان متواضعاً شديد التواضع . . لا يتصرف على أنه فريد الأطرش المشهور . . ولكن كان دائماً فريد الأطرش البسيط . . لأن الشهرة لم تولد عنده نرجسية . . ولم تجعل منه إنساناً معقداً كغالبية المشاهير .

كان يأكل بيده حتى وهو في أكبر مطاعم باريس . . في مكسيم . . في الفوكتس . . بجوار الملوك . . والأمراء . . والعظماء . . ويقول يدى خير من الشوكة والسكين . .

كان يحب الأكلات الشعبية والبلدية . الكشرى ولحمة الرأس . . ولسان العجل أو الخروف وقرقوشة الودن . . وهذا يرجع لنشأته الأولى في حى باب البحر . . وفي حى الظاهر والسكاكيني .

كان يغير ملابسه نادراً برغم وفرتها - فيظل يرتدى « الطاقم » الواحد . . بلوفر وبنطلون . . أو بدلة كاملة لمدة شهر . . حتى يجد من يخافه ويحبره على التغيير . . كان يتلف جميع ملابسه لأنه وقت الأكل لا يعرف ماذا يفعل . . وتجد

جميع قمصانه وبلوفاته مملوءة بالبقع . .

كان يشكو من الوحدة . . ولم يكن يجد صديقاً يجاربه السهر حتى الصباح . .
وكان يسهر حتى يصبح الصبح ليطمئن أنه إذا أصابه شيء يجد من يسمع صوته ويغيثه .
كان لا يخاف الموت ويقول ابن تسعة لا يموت ابن سبعة . . لكل أجل كتاب .
كان مؤمناً إلى درجة عجيبة . . يؤمن بالله . . وبرسله جميعاً . . يضع
في صدره القرآن والصليب . . وتمثال العذراء . . ويقول دائماً الدين لله . .
كان إذا أحب أى شخص وقربه له لا يعنيه من هو . . أو ابن من هو . .
أو عمله ماهو . .

كان لا يقبل من أحد أن ينقد أى صديق له . . وإذا حدث واجه الاثنين . .
كان يعتقد في كل الناس الطهارة والصدق ولا يقبل أن يغير رأيه . . وكما قاسى من
بعض الذين قربهم له وهم على غير المستوى الواجب . . لمجرد أنه شخصياً مقتنع بهم .
وربما تكون آرائى في فريد الأطرش هنا نتيجة لعاطفة ربطتنى به ، وقد تكون
في النهاية مضطربة لأنها تكتب عقب الحدث الذى هزنى وهز العالم العربى ، ولكنى
أستطيع أن أقول إنى أكتب حقائق ، والحقيقة دائماً أقوى من أى شيء .
إن فريد الأطرش كان فريداً في كل شيء ، له طابعه المميز ، حتى إننى كنت
أعبر عن تصرفاته بـ « الأطرشيات » .

كان إذا وعد لا يخلف وعداً ، وإذا تكلم لا يقول إلا صدقا ، وإذا لحن لا يعبر
إلا عن إحساسه ، وإذا غنى لا ينطق إلا بما يجيش بصدرة . .
كان إذا وعد بشيء ، أو ارتبط بعمل ، ينفذه كأنه كتاب مقدس لا يقبل التحوير
أو التحرير . وأذكر أنه عام ١٩٦٢ كان يصور فيلم « حكاية العمر كله » من إنتاج
رمسيس نجيب وصبحى فرحات وأثناء التصوير استحق له قسط لم يدفعه المنتج
فرفض فريد أن ينزل إلى الاستديو حتى يدفع له القسط . .

وبرغم المحاولات التي بذلت لحمله على النزول منى ومن غيرى ، فإنه قال إن الارتباط هو ارتباط ، ولا بد أن ينفذ غيرى التزامه فى موعده . .

وبعد اتصالات عديدة مع الكثير من المشرفين على الفيلم حضر صبحى فرحات إلى منزله وأعطاه المبلغ ، وهنا قال فريد :

- سأكون فى الأستديو بعد خمس دقائق . . .

إلا أن صبحى فرحات قال له :

بأستاذ فريد ، فى الحقيقة أن المبلغ الذى أنا جيته استلفته فيه مبالغ محولة لى من الخارج لم تصل ، وبكره الشغل سيقف لأنه لا يوجد عندى مايكفى ، وسأضطر للانتظار التحويل !

فما كان من فريد إلا أن قال له :

ولماذا يتعطل العمل ؟ يلزمك كام ؟

فقال صبحى فرحات :

- عشرة آلاف جنيه ! . . .

ودفعها فريد على الفور ، ونزل إلى الأستديو ، وصور ، واستمر العمل فى الفيلم ، والنتيجة الوحيدة ، واضحة ، وهى أن فريد لم يقبض القسط بل دفع فوqe خمسة آلاف جنيه من جيبه ، ولكن ، وبحسب تقديره فإن المنتج نفذ التزامه ، لأن دفع القسط شىء ، والقرض شىء آخر . وهذا هو فريد !

وكان إذا تكلم لا يقول إلا صدقاً ، وأذكر أنه فى عام ١٩٦٥ تلقى طلباً من نيابة المالية بالقاهرة لسؤاله عن مبالغ صرفت له من تليفزيون الكويت ، ولم يتم بتحويلها إلى مصر طبقاً لأحكام قوانين النقد .

وجلس معه أحصر المبالغ التى بالكويت . وما دفعه فى لبنان من نفقات لعلاج والدته التى كانت مريضة بأحد المستشفيات ، إلى غير ذلك من الأعباء التى يتكبدتها

فريد الأطرش بين الفن والحياة

أى شخص فى مثل مكانة فريد فى المجتمع ، وبعملية حسابة اتضح أن المبلغ الذى أنفقته بالإضافة إلى ما قام بتحويله إلى مصر هو سبعة آلاف دولار ، هكذا سيكون موقفه أمام النيابة المالية سليماً .

وتوجهت معه إلى دار القضاء العالى ، وجلسنا أمام رئيس النيابة الذى بدأ يسأله الأسئلة التقليدية : اسمك ، وسنك ، ومهنتك ، ومحل إقامتك ، فقاطعه الأستاذ فريد وسأله :

قبل كل حاجة عاوز أعرف المبلغ اللى بتسألوا عليه كام ؟ !

ولما كنت قد اطلعت على الرقم ولم أبلغه به ، فقد قلت له :

— يا أستاذ فريد ، دى أسئلة تقليدية ، لازم تجاوب عليها ، والمبلغ حوالى تسعة عشر ألف دينار !! .

فصرخ فريد :

— هذا كذب !

فقال له رئيس النيابة :

— إزاي بتقول إنه كذب ، والكشف قدامى وثابت منه جميع المبالغ اللى استلمها كل الفنانين فى الكويت وأنت منهم ؟ . .

فقال فريد :

— أيوه كذب !

وفاجأ رئيس النيابة بأن صحة الرقم هو ستة وعشرين ألف دينار ، أى بزيادة سبعة آلاف دينار !

وحاولت أن أضغط على رجله لكى لا يقول هذا الكلام ، لأن حسابنا مضبوط على تسعة عشر ألف دينار ، فقال باللفظ الواحد :

— أنت بتضغط على رجلى ليه ؟ ! أنا مش حأغير رأيى . المبلغ زى ماقلت ،

وأن ما اتكتبش كده فى المحضر أنا مش حجاب على أى سؤال . فوقعت فى ورطة كمحام ، وكان رئيس النيابة لطيفاً معه وقال له :

— أنا حا كتب فى المحضر كل اللى بتقوله ، لكن تسمع كلام محاميك !

فقال :

— لا ، أنا مصر على رأى !

ولكن المفاجأة كانت فى قرار النيابة ، إذ قررت الإفراج عنه بلا ضمان ، فى حين أن جميع الفنانين الآخرين أفرجت عنهم النيابة بكفالة تتراوح بين خمسين وائة جنيه ، وكان هذا انتصاراً له لأنه قرر أن يقول الحقيقة .

وكان إذا لحن لا يعبر إلا عن إحساسه ، ولهذا فإن ألحانه تدخل القلب مباشرة ، وحقيقة لا يعرفها الكثيرون ، وهى أن أعذب ألحان فريد كان هو صاحب كلماتها الأولى مثل « حكاية غرامى » و « بنادى عليك » و « سألتى الليل » . فهو كان يخلق كلمات مطلع الأغنية . ويعيش مع الجملة الموسيقية التى تدور فى ذهنه ، بل كان يلحن كلاماً أى كلام يكمل به الشطر الذى يتخيله ، ثم يدفع إلى المؤلفين بأفكاره ، ثم فى أيام يصبح اللحن كاملاً ، والأغنية فى طريقها إلى الأستديو للتسجيل .

وكان إذا غنى لا ينطق إلا بما يجيش به صدره يردد دائماً الأغنية التى تعبر عن الظروف التى يمر بها ، حتى ولو كانت لغيره من المطربين ، وكان فى أيام الحفلات العامة يسأل ماذا أغنى فى الحفلة ، ويسمع رأى ، ورأى غيرى ، ثم تبدأ البروفات للحفلة فتجده قد اختار أغنيات بعيدة عن طلباتنا وأسأله : طيب ليه ؟ . ماتقول حاجة من الأغانى الجديدة ، أو تقول الأغنية الفلانية !

فيسكت قليلاً ويقول :

— أنا حأغنى الأغانى الفلانية . . عارف ليه ؟ لأنى لازم أقولها . . ما

أعرفش ليه .

وكان فريد صريحاً إلى أبعد حدود الصراحة ، ولكن فيما لا يضر أى إنسان .
وأذكر أنه فى عام ١٩٦٥ ، كنت جالساً معه مساء ذات ليلة فى منزله بالجيزة
نستعرض الأمور ، وفجأة دق جرس الباب ، وعرفنا أن الزائر هو أحد أصدقائه
الأعزاء ، وهو رجل الأعمال محمد بركات وكان دائماً يحب أن يداعب الموسيقى
من وقت لآخر ، وبعد أن سلم وجلس ، استأذن الموسيقى ليخلع جلبابه ، ويلبس
بنطلوناً وقميصاً ليستقبل به زوار منزله ليلاً من الأصدقاء الخالص ، وجلست أنا والسيد
بركات نتحدث فى بعض الأمور . . .

واقترح بركات أن يداعب الموسيقى كعادته ، فأخبره بقصة سيقولها له بمجرد
عودته من غرفة نومه ، وهذه القصة غير حقيقية ، وسيطلب من الموسيقى ألا يخطر بها
أحداً . وراهنى السيد بركات بأن الموسيقى سوف يروىها للجميع بعد ساعة على الأكثر
من وقت علمه بها ! . . .

وحضر الموسيقى الراحل ، وبدأ السيد بركات يروى القصة ، وتلخص فى أنه
عائد لتوه من أوروبا . . . وأن الطائرة التى كان قادماً عليها اضطرت للهبوط فى روما
دون أن يكون هذا فى خط سيرها ، وذلك لأسباب فنية ، وأنه جلس فى مطار روما
مدة ساعة وفى أثناء تجوله فى صالة الترانزيت بالمطار صادف أحد رجال الأعمال الألمان ،
ووقع معه عقداً على صفقة كبيرة من المواد الكيماوية وأنه تليفونياً اتفق مع أحد التجار
فى روما على بيعها ، وحقت الصفقة ربحاً قدره ٨٥ ألف جنيه استرليني ! . . .

وجلس رجل الأعمال بشرح للموسيقار كيف أن الإنسان يرزق برغم أنفه وأن
القدر يتدخل كثيراً فى حياة الإنسان ، سعد فريد جداً لما أصاب صديقه وعبر عن
سعادته بقبلة حارة وضعها على جبين الصديق ، وهنا بدأت مداعبة الصديق بركات
لفريد ، فقال للموسيقار إنه بمناسبة هذه الصفقة ، واحتفالاً بها يجب أن يدعوا الموسيقى
وجميع ضيوفه فى تلك الليلة إلى عشاء فاخر ! !

واقترح فريد أن يكون الطبق الأساسى هو الحمام المشوى ، وللعلم فإنه من الأطباق المفضلة إليه ! . .

ووافق رجل الأعمال محمد بركات وتم تنفيذ العزومة كاملة ، وحىء بالحمام المشوى من مطعم معروف ، وبدأت السهرة ، واجتمع جميع الأصدقاء أمام العشاء الفاخر ، وبدأ الموسيقار يحيى ضيوفه ويعطى هذا حمامة ، ويعطى تلك صندراً من حمامه ، ويوزع على كل من يجلس على المائدة أويقف حولها ، وكنت أرقبه أنا والسيد بركات ، ونشعر أنه بتصرفاته هذه يحاول الابتعاد عن قول شيء أو إذاعة ما يدور بذهنه وفجأة نطق الموسيقار فقال :

- يا جماعة أنتم عارفين مين اللى عازمنا الليلة ؟ ؟ . . اللى عازمنا محمد بركات عارفين ليه ؟ لأنه عمل صفقة اليوم ! . .

وبدأ فريد يسرد كل التفاصيل التى استحلقة الصديق بركات ألا يذيعها وأن يحتفظ بها سراً . . خوفاً من الحسد وكلام الناس . .

ولكن هذا هو فريد الأطرش ، لا يستطيع أن يفكر إلا بصوت عال ليعطى البرهان دائماً على شفافته وصفاء نفسه . .

وكان الفنان الراحل يعيش للفن من أجل الفن ، وب عقلية فنان لا تحسب حساباً لشيء إلا للفن ! . .

وعاش فريد الأطرش حياة فنية طويلة قلقاً على فنه ، قلقاً على نفسه ، ضائعاً فى خضم طويل واسع لا يعرف له حدوداً ولا شواطئ ، يبحث عن شيء أعتقد أنه لم يجده

ومع ذلك فلقد كان من صفات فريد الأطرش العناد الشديد حتى لو أضر بنفسه ، ويبدو وأنه فى هذا ممثلاً بالمثل الدرزى المشهور « عترة ولو طارت » وأعتقد أن حكاية

هذا المثل معروفة للقارئ اللبناني ، ولكن قد يجهلها الكثير من القراء في أنحاء العالم العربي . .

وتحكي الرواية أن أحد الأكراد كان يسير مع أحد الدروز ، ومشهور عن الأكراد والدروز العناد ، وجاء سير الاثنين في المزارع ، فلفت الكردي نظر الدرزي إلى طير موجود بين الأشجار يبحث عن شيء يأكله . . فرد عليه الدرزي إن الذي يراه بين الأشجار واقفاً على الأرض ليس طيراً بل عترة . . فقال له الكردي : يا أخي إنه طير ، هذا هو الدليل . وقذف بحجر في اتجاه الطير فطار ! ! فرد عليه الدرزي : عترة ولوطارت .

وكان من حكايات عناده حكايتان إحداهما رواها لي والثانية عشتها معه . .
أما تلك التي رواها لي ، فإلى القارئ تفاصيلها :

كان الموسيقار الراحل في رحلة إلى الإسكندرية مع صديقه السيد عبد الرحمن سرور الصبان ، وكان قد سافر إليها بالسيارة لقضاء يومين على شاطئ عروس البحر الأبيض المتوسط ، وبعد أن أمضيا اليومين على أحسن ما يجب كل منهما . . طلب السيد عبد الرحمن سرور من صديقه الموسيقار أن يعودا إلى القاهرة بالطائرة بدلاً من ركوب السيارة ، فقال له الموسيقار إن المسافة واحدة ، على ماتروج المطار وتركب الطائرة وتصل إلى القاهرة وتأخذ تاكسي من المطار إلى المنزل تكون وصلنا بالسيارة . وهنا قال له صديقه : على أي حال يبقى تغيير بافريد ، ونكون مع بعض ! ! . . فرفض الموسيقار الإقترح ، وأصر على السفر بالسيارة ، وقال لصديقه : يعني أنت بتوجدني أمام الأمر الواقع ، وليه ماخذتش رأيي في هذا الموضوع ؟ على أي حال أنا مسافر بالسيارة ، وراح أحرمك تسافر بالسيارة ، وراح أحرمك من أن تكون معاً بالطائرة ، وأراهنك أني سأكون بالقاهرة قبل منك ياللي مسافر بالطائرة ! !

فقال له صديقه : طيب أنا أراهنك على مائة جنيه إذا حصل ووصلت القاهرة

قبل منى وقبل فريد الرهان .

ولما كان فريد يعلم في قرارة نفسه أن حسابه خطأ ، وأن صديقه سيصل قبله إلى القاهرة فإنه بعناده الشهير أصر على أن يكون بالقاهرة قبل الصديق .

وأعد الموسيقىار سيارته وأجلس السائق بجواره ، وجلس هو على مقعد القيادة ، وكان معه السيارة « الباكار » وهي بقوة « ثمانية سلندر » وتوكل على الله وانطلق على سرعة مائة وخمسين كيلومتراً في الساعة ، وجلس السائق « محمد » يرتعد ويقرأ القرآن والموسيقارينطلق بالسيارة غير مكترث لنقط التفتيش على الطريق الصحراوى ، ولما كانت المسافة بين القاهرة والإسكندرية حوالى مائتين وخمسين كيلومتراً ، فإنه على هذا المنوال سيصل إلى القاهرة بعد حوالى الساعتين إلا ربعاً ، فإذا وضعنا في الحساب مداخل القاهرة التى لا يستطيع أن يسرع فيها بالسيارة أكثر من ٦٠ أو ٥٠ كيلومتراً في الساعة وهي مسافة تصل إلى خمسة عشر كيلومتراً ، فإن معنى هذا أن الموسيقىار سيصل في ساعتين وكسور . . ولما كانت الطائرة تقطع المسافة من الإسكندرية إلى القاهرة في نصف ساعة ، ونصف ساعة من مدينة الإسكندرية إلى مطار الإسكندرية في ثلاثة أرباع الساعة من مطار القاهرة ، إلى منزل الموسيقىار بالجيزة فإن حسابات الصديق تجعله يصل إلى منزل الموسيقىار في ساعتين إلا ربعاً . . معنى هذا أنه يوجد حوالى العشرين دقيقة بالزيادة في رحلة الموسيقىار . .

وعمل الموسيقىار الراحل كل ما يمكن ليصل في موعده وقبل صديقه . . وفعلا وصل منزله وسأل البواب : هل الأخ عبدالرحمن وصل ؟ ؟ . فقال له البواب : لا ماوصلش ! ! وهنا انفجرت أسارير الموسيقىار وارتاحت أعصابه . . وبمجرد أن جلس على كرسيه ، دق جرس الباب وإذا بالداخل الصديق عبدالرحمن سررو الذى وضع يده في جيبه ، ودفع للموسيقار مائة جنيه قيمة الرهان . .

وهكذا أوصل العناد الموسيقىار إلى المخاطرة بحياته الغالية على الملايين لمجرد أن

ينتصر على صديقه . .

أما الحكاية الثانية فهي من أروع الأمثلة على عناده وقد عايشتها معه . .
كان ذلك في أثناء تصوير فيلم « زمان يا حب » وغير المخرج بعض مواقف في الفيلم
وحواره وأضيف إليه الحوار التالي :

« المنظر : فريد الأطرش يركب حماراً اسمه « ابوللو » ومعه الفنانة زبيدة ثروت
بطلة الفيلم » .

وكان الحوار :

شوشو : أستاذ فريد ، تحب تسمع موسيقى .

فريد : بكل سرور .

وهنا يبحث شوشو في رقبة الحمار عن شيء ، ثم يرفع يده براديو ترانزستور ، يبدأ
الحوار التالي :

فريد : أنت كمان معلق له راديو ؟

شوشو : امال يا أستاذ ؟؟ أبوللو ييحب الموسيقى ، وخصوصاً أغانيك .

فريد : ماهو أصله حمار . .

وأعجبت القفشه فريد ، وأصر على أن تكون بالفيلم ، وفعلاً تم التصوير ، ودعاني
الأستاذ عبدالسلام موسى ، المشرف على الفيلم لرؤية الفيلم قبل عملية المكساج ،
وحضر العرض عدد كبير من المشرفين على مؤسسة السينما .

وذهلت عندما سمعت الحوار ، واعتقدت أن به مساساً بالموسيقار .

وكان فريد في لندن ، واتصل بي تليفونياً ، وقلت له رأيي إنه لا بد من حذف هذا
المشهد فقال لي الموسيقار : لا يا محمود ، أنا عاجبني ! وسكت . . وحضر الموسيقار
إلى القاهرة ، وبدأت أناقشه في موضوع هذا المشهد ، فقال : يا محمود ، أرجوك
اسكت ، أنا عاجبني !

وسكت فعلا ، وعرض الفيلم في بيروت ، وكان من عادته أن يطلب من أصدقائه أن يروا أفلامه ويقولوا له رأيهم ، ورأى الجمهور في الصلاة . . . وذهبت في زيارة له في بيروت ، فطلب منى أن أرى الفيلم فعلا شاهدت الفيلم ، وقلت له رأيى وزدت عليه رأى الناس في الحوار الذى كان موضع خلاف بينى وبينه والسابق الإشارة إليه ، واتضح أن غيرى قال له مثل ماقلت ، فطلب منى الأستاذ فريد أن أتصل بالمؤسسة في القاهرة لرفع هذا المشهد من الفيلم ، وعدت للقاهرة وقال المسئولون سبق السيف العزل لا يمكن . . . لأن النسخ توزعت . . . وقلت لهم إن الأستاذ فريد مستعد يدفع كل التكاليف مهما كانت ولو وصلت عشرة آلاف جنيه ! ! فقالوا متأسفين . . . وظل الموسيقىار فترة طويلة من الزمن متأثراً من هذه الواقعة ، وزعل جداً لأن المؤسسة لم تستجب لطلبه . . .

وهكذا نرى فريد الأطرش عنيداً ، ولكن فيما لا يضر الغير ، ويصر على رأيه حتى ولو كان خطأ ثم يحاول أن يصلح ماأفسده الدهر حتى ولو كلفه مالا كثيراً . . . وفريد الأطرش كان عطوفاً على كل من حوله يحب صديقه ويتفانى في حبه ، ولا يهدأ ولا يستقر إلا إذا اطمأن على أصدقائه واحداً واحداً . . . وكان إذا سافر إلى بلد آخر خارج الجمهورية يتصل مرة على الأقل كل أسبوع تليفونياً ويسأل عن كل واحد باسمه ، وكان إذا جد الجد وأحس أن صديقه في حاجة إليه ، سارع إلى الاتصال به ووقف بجانبه لينصره ويناصره إلى أن يمر بمحنته أو ظروفه القاسية على أحسن حال وهنا يهدأ الموسيقىار ويستريح باله .

وأذكر أن صديقاً من رجال الصحافة المرموقين تعرض في أوائل الستينات لقرار وقف عن عمله ، ووقف مرتبه ، وكان هذا القرار من جهة عليا لا تعقيب على قراراتها . . . وكانت مراكز القوى تعتبر الاتصال بأى شخص مغضوب عليه خيانة وطنية ، جزاء من قام به أن يحبس . . . أو يشرد . . . أو يحارب في رزقه ! . . .

وظل المحيطون بفريد لا يخبرونه من أمر صديقه شيئاً ، إلى أن جاء اليوم الذى افتقده فيه الموسيقى فاتصل به فى مكتبه ، وعلم أنه بإجازة منذ مدة طويلة ، فاتصل بمنزله فعلم أنه غير موجود بالمنزل أيضاً ، فتوجه بنفسه إلى منزل الصديق سائلاً عنه ، وهناك علم بما أخفاه عنه الأصدقاء فظل منتظراً فى سيارة أمام منزل الصديق ، وظل منزل الموسيقى وأصدقاؤه يبحثون عنه فى كل مكان إلى أن أصابهم القلق ، وبعد ساعات من الإنتظار الملل والقلق ، ودخل الموسيقى وهو أشبه بقائد عاد من ميدان القتال بعد أن لقن جيوش أعدائه درساً قاسياً وهزمها شر هزيمة ، وبسؤاله أين كنت وأين اختفيت . . هل هو حب جديد . . أو ماذا ؟ والكل فى لهفة لسماع الخبر فأجاب الموسيقى بهدوء شديد أنتم عارفين أن فلان موقوف عن عمله ؟ فأجابوه : أيوه . . ! !

- طيب ليه ماحدث قاللى ؟؟

فرد أحد الأصدقاء :

- ماهو يا فريد أنت عارف إن قرار إيقافه عن العمل قرار سياسى ، واحنا عارفينك ما بتعملش حساب للمستولين . . وأنت فنان كبير ، ومش عايزين حد يزعل منك ! .

فرد فريد :

- كتر خيركم ، على أى حال أنا عرفت الموضوع كله . . وزرت الصديق واللى يجرالى يجرالى .

وكانت مشكلة ترقب الجميع نتائج ضارة لها تلحق بالموسيقى ، وفى أثناء الحديث دخل الصديق الموقوف ، وقبل فريد قبلة حارة ، ثم جلس ، ثم وضع يده فى جيبه وأخرج شيئاً قدمه للموسيقى قائلاً إذا احتجت لشيء سألجا إليك . . فرفض الموسيقى أن يمسه بيده ، وكانت المفاجأة أن كان شيئاً موقعاً على بياض من فريد

الأطرش . . تركه لأهل منزل الصديق لما يش من حضوره . .

وهذا هو فريد !!

وكان فريد أيضاً قلقاً دائماً عندما يقدم على أى عمل فنى . . تجده غير مستقر على حال . . لا ينام حتى يرتاح ، ولا يتسلى مع الأصدقاء بلعبة « الكومى » . . وأذكر أنه فى عام ١٩٧١ كان قد انتهى من إعداد أغانى فيلم « زمان يا حب » ، وكان البحث جارياً عن بطلة الفيلم ، ووصلت إلى بيروت لزيارته والإطمئنان عليه ، ووجدت أن شغله الشاغل أن يجد بطلة تقف أمامه فى فيلم « زمان يا حب » . . فقلت له :

- هل رأيت فيلم « . . . » وبطلته « . . » وإخراج صديقك ومخرجك المفضل بركات . .

فقال :

- لا ! . .

فاتصلت بصديقه وصديق الأخ روبر خياط ، وسألته عن الفيلم المطلوب ، وهل عرض فى بيروت أو لا ، فاستمهلنى إلى أن يسأل الموزعين فى لبنان ، وفعلنا وجدنا الفيلم فى بيروت فطلبت من روبر خياط أن يطلب النسخة ليراها الأستاذ فريد ، وفعلنا قام السيد خياط باستئجار النسخة ، وألغى حفلة الساعة التاسعة بالسينما التى يملكها بالأشرفية ، وأمسك الموسيقىار الراحل بالتليفون ودعا مجموعة من الأصدقاء لمشاهدة الفيلم فى عرض خاص ، وكان فى مقدمة المدعوين صاحب الموعد ، الأستاذ بدیع سريه وزوجته السيدة نادية ، والسيدة سلوى القدسى ، حبيبة قلب الموسيقىار إذ لم يكن قد أعلن خطبته لها بعد . .

ودارت ماكينات العرض . . وشد الفيلم جميع الحاضرين ، واندمج الموسيقىار مع قصة الفيلم وهو ينظر بعين خبير إلى البطلة وتحركاتها فى « الكادر » وروحها فى أداء الدور ، إلى أن ظهرت على الشاشة كلمة « النهاية » . ونظرنا جميعاً إلى الموسيقىار

لنسمع قراره ، ونظر هو إلينا يتلمس قرارنا . . ونحن صامتون وبدأ هو يسأل
وكان أول الذين سأهم الموسيقار الأستاذ محمد بديع فقال رائعة ! . . وقالت السيدة
سلوى القدسي : ممتازة تليق للدور معك يا فريد ! ! . .

وقال رويير خياط : أنا واحد باشتغل فى السينما من زمان ، وأقدر أقول هايله
جداً . . ونظر إلى الموسيقار الراحل فقلت :

- أنا قلت لك إنها ممتازة وتستحق الدور ! . .
وسكت الموسيقار وخشنا جميعاً ألا يكون مقتنعاً بما نقول ، وفجأة قال : على
خيرة الله !

ووجه لى الكلام :

والنبى بأخ محمود تتصل بالأستاذ عبدالسلام موسى ، المنتج المنفذ للفيلم ،
ومندوب المؤسسة بفندق « كارلتون » وتبلغه قرارى وعلى الله نتوكل ونشتغل ! . .

وبحثت عن تليفون فإذا بتليفون السينما معطلا ، فابلغت الأستاذ فريد فقال :

- طيب لما نوصل البيت نطلبه . .

وما كدنا نصل البيت - بيت الموسيقار - حتى أمسك هو بالتليفون . . وطلب

فندق كارلتون :

فريد : الأستاذ عبدالسلام موسى . .

عاملة التليفون : دقيقة من فضلك ندور عليه . .

وبحثت عاملة التليفون عن الأستاذ عبدالسلام موسى فلم تجده ، فقالت متأسفة تحب

تسيب رسالة ؟

فقال : أبوه من فضلك ادبنى المختص . . .

وحولت عاملة التليفون المكالمة إلى المختص ، وهو الموظف الذى يعطيك مفتاح

غرفتك بمدخل الفندق ، ودار حوار رواه لى الموسيقار فيما بعد .

فريد : من فضلك عايز اسيب رسالة للأستاذ عبد السلام موسى . . أنا فريد الأطرش .

عامل الفندق : مرحباً يا أستاذ . . يا أهلاً وسهلاً . . اتفضل قول يا أستاذ . .
فريد : الأخ الأستاذ عبد السلام موسى وقع اختياري على الفنانة « . . » للقيام بدور البطولة أمامي في الفيلم أرجو إخطار الأستاذ محمد رجائي مدير الإنتاج بالمؤسسة بالقاهرة ليتعاقد معها . .

عامل التليفون : ده معقول ياأستاذ أنت تقوم بالتمثيل أمام هذه الممثلة . . دى مين دى « . . . » ياأستاذ الى تمثل قدامك . .
فريد : طيب أرجوك الغ الرسالة .

وكان قرار فريد أن هذه الفنانة لا تصلح للقيام بدور البطولة أمامه ، لأن هذا رأى الجمهور والجمهور هو كل شىء فى حياة فريد الأطرش ، ولذا كان يسميه دائماً : الحبيب . .

وهذه هى صفات فريد التى ستظل خالدة فى حبه لفنه . . وقلقه على فنه . . واحترام رأى جمهوره مهما كان . . ولم تكن نظرة فريد إلى جمهوره هى نظرة الفنان للذين يصفقون له ويعجبون به . لا . فريد كان يرى هذا الجمهور باعتباره الشعب . . وهذه الأمة . . وهذه الأرض.

إن هذا يجعلنى فى حاجة إلى تسليط الضوء على مشاعر فريد نحو وطنه .
لقد كان الموسيقار الراحل صورة مجسمة للوطنية محباً لبلده يعتر بمصريته . يشارك بروحه وإحساسه فى كل مناسبة وطنية ، وكان يتألم كثيراً إذا لم يستدعه أحد للمشاركة بفنه فى عيد وطنى .

وكانت احتفالات ٢٣ يوليو « تموز » من كل عام تمثل بالنسبة له . . حسرة وألماً ، ويظل يحجب أرجاء منزله ، ويحدث نفسه . . لماذا لم يستدعنى أحد للمشاركة

في العيد ؟ ! هل يجوز لى أن أقنم الحفل ومعى الفرقة الموسيقية وأقول : أنا عازر أغنى وأشارك . . وهل يليق بالفنان أن يقف على الباب وبطرقه ويقول : يا ناس لازم أكون معاكم فى الليلة دى ؟؟

ثم يجيب فريد : أبداً ، لا يمكن أن يحدث مثل هذا ، أنا قاعد فى بيتى لغاية ما يعرف المسئول عن هذا الحفل ، أنتى موجود ، ولا يليق بى أن أذهب إلى مكان الاحتفال دون دعوة . . والرئيس عبد الناصر وضيوفه قاعدين . . وأعمل غلطة بروتوكولية ! . .

وفى عام ١٩٦٧ كانت النكسة وبدأت الدماء تغلى فى جسد الموسيقار المريض ، وبدأ الحزن يسيطر على حياته لما أصاب بلده ورفض أن يعود إلى القاهرة الكبيرة ، وفجأة انتفض الموسيقار الراحل وطلب مؤلف الأغانى عبد الجليل وهبى ، وجلس يشرح مرة أخرى ، وأنه لازم نحارب لازم نحارب لازم نعمل حاجه ، وأن العرب إذا كانوا قد خسروا معركة ، فليس هذا كافياً أن نستسلم للكلاب . . وهذا تعبيره بالحرف الواحد . . .

وفى اليوم التالى حضر إليه الشاعر عبد الجليل وهبى وسلمه نشيداً ، هذا النشيد هو نشيد « شعبنا يوم الفدا » ومقاطع النشيد تقول « لا تقل ضاع الرجاء . . إن للباطل جولة . . وفى نهاية النشيد « أذان » ينادى على العرب « الله أكبر الله أكبر . . لا إله إلا الله » . .

وبدأ الموسيقار الراحل تلحين النشيد وانتهى منه ، وبدأت البروفات مع الفرقة الموسيقية ثم توجه للاستديو لتسجيله ، واتصل بصديقه الأستاذ جلال معوض لأخذ رأيه فى الكلمات . . فهنأه على حسن اختياره . .

ثم أخذ الموسيقار قراره : لابد أن أرسل هذا النشيد إلى جميع الإذاعات العربية ليذاع فوراً ، وطلب من الأستاذ إعداد النسخ اللازمة بعدد الدول العربية ، وتوجه

إلى السفارات العربية في بيروت ، وسلم كل سفير نسخة ، واستدعاني من القاهرة ، وسلمني نسختين لإذاعة القاهرة ، وأحضرت الشريط وأذيع . . .
وبعد أسبوع تلقيت مكالمة تليفونية من الموسيقار الراحل وأبلغني أنه ليس كافياً ما فعله لابد من تصوير النشيد تليفزيونياً ، وقلت له : فكرة كويسة . . . وفي اليوم التالي كان استديو ١١ في تليفزيون لبنان يبني الديكورات ، وبدأ التصوير ، وأرسل لي نسخة من الفيلم سلمتها لتليفزيون مصر . . . وقام هو بتسلم النسخ إلى السفارات !
وهذا فريد ، ودفع كافة التكاليف من جيبه الخاص . . . وقال : ده أقل شيء أعمله نحو بلدي . . . ياريتني أستطيع أن أحارب . . . ياريتني كنت في حالة صحية تسمح لي بأني ألف على جميع المعسكرات للجيش العربية . . . وأغني لإخوتي الجنود هذا النشيد . . .

وتحضرني في هذا المقام رائعة أخرى ، في أكتوبر ١٩٧٣ . كنت مع الموسيقار في باريس وتركته الساعة الثالثة ليستريح بعض الوقت على أن أعود له في الساعة مساء . وفي الساعة الخامسة استمعت إلى الإذاعة التونسية وكان الخبر الأول عندها هو قيام الحرب في الشرق الأوسط ، ودخول مصر الحرب ضد إسرائيل ، وأن مصر انتهزت فرصة عيد الغفران عند اليهود وهاجمت الجيوش الإسرائيلية في سيناء . . .
واتصلت تليفونيا بالموسيقار الراحل في فندق « البرنس ديجال » وقال عامل التليفون إن الموسيقار طلب عدم الإزعاج . . . وعدم تحويل أية مكالمات إليه قبل الساعة السابعة فقلت لعامل التليفون . . . أنا صديقه ومحاميه ، وعندى رسالة عاجلة من القاهرة تهم أعماله . . . ولابد من أخذ رأيه في الموضوع . . . وأرد على القاهرة حيث ينتظرون أخذ رأينا لتوقيع عقد هام . . .
وبعد حوار طويل وافق عامل التليفون على أن يحول المكالمة للموسيقار ، فاستمط

فرعاً ، وقال : خير يا محمود . . لازم فيه حاجة وحشه . . أرجوك ماتخيش على . . .

وقلت له : مصر حاربت إسرائيل ، والرئيس السادات أمر بالحرب . . ! . .
فرد الموسيقار : الحمد لله ، هذا أسعد خبر أسمعه منك ، أنا دلوقت استريح ، لازم كان يحصل كده . . لازم نموت كلنا يا محمود . . ولا يبقى الحال كما هو عليه . . تعال فوراً علشان نتابع الأخبار . .

وجلست معه فى جناحه فى الفندق ، كان معه فى رحلته هذه خطيبته السيدة سلوى القدسى ، وجلس الموسيقار أمام التليفزيون ، وجلست أنا أدير مفتاح الراديو باحثاً عن المحطات العربية أو إذاعة القاهرة ، ولكن بدون جدوى ، وكانت الأخبار التى يذيعها التليفزيون الفرنسى كلها سيئة وضد العرب ، وقال الموسيقار : أنا باعتقد يا محمود إن فيه تحيز . . اطلب لى القاهرة ، واطلب لى بيروت .

وظل على نار يترقب المكالمين ، وإذا بأخبار القاهرة مطمئنة جداً ، وإذا بجنودنا قد عبروا ، وإذا بالجيش المصرى قد استقر على الضفة الشرقية للقنال ، وإذا بأخبار بيروت مطمئنة أيضاً . . فإن الجيش السورى انطلق من الجولان ، وبدأت الفرحة على وجه الموسيقار ورأيته وكأن عمره قد نقص عشرين عاماً ، وكأنه قد شفى من جميع أمراضه ، وقال : مش قلت لك فيه تحيز . . الحمد لله أنى عشت حتى رأيت هذا اليوم . . سأرسل برقية للرئيس السادات، أهنته ، وبرقية للرئيس الأسد ، أهنته . . هات ورقة وقلم .

وكتب البرقيتين وأرسلهما . .

وفى هذه الليلة لم يخرج من الفندق ، وظللنا جالسين نتابع الأخبار ، ونشترى جميع طبعات الجرائد . .

وجلس يفكر فى الانتصار ، وقال لازم ترجع مصر على طول علشان أكون جنب إخوتى الجنود فى هذه الأيام التاريخية . .

- ولكن المطار مغلق يا أستاذ فريد ولا يمكن تسمح لنا القوات المسلحة المصرية باستعمال المطارات المدنية في هذه الظروف . .

وقال : ده صحيح . .

قلت : إذن ، لازم نساfer إلى لندن لأن ميعادك مع الدكتور جيسون يوم ١٠/١٠/١٩٧٣ وثق أن علاجك والاطمئنان على صحتك عمل وطنى نخدم به بلدك . .

وسكت الموسيقىار ، ثم تكلم وسألنى :

ه طيب ، وأنت حتعمل ايه يامحمود ؟ . . مش ممكن أسبيك لوحذك فى بلد زى ده . . لازم تسافر معايا على لندن لغاية المطار مايفتح وترجع مصر معايا . . .

فقلت له :

- طيب سبيك من الموضوع ده . . وماتحملش همى . .

فقال :

- إزاي ماحملش همك ؟ ؟ بكره الصبح أنا رايح معاك على القنصلية البريطانية فى باريس وأطلب لك تأشيرة . .

وذهبتا فى الصباح وأصر القنصل البريطانى على ضرورة استئذان القنصلية البريطانية فى القاهرة والحصول على موافقتها على منحى التأشيرة . . وتضايق الموسيقىار وظل يفكر ماذا يفعل حتى يطمئن على قبل سفره إلى لندن . .

وبعد ثلاثة أيام دام على الاتصال فيها بالقاهرة وبيروت ، وعرف أن كفة الحرب قد مالت نحو العرب ، وأن العرب لقنوا الجيش الإسرائيلى درساً لن ينساه ، وأن خط بارليف قد إتهار . . علمنا أن مطار بيروت مفتوح للطيران المدنى ، وذهب معى إلى شركة الطيران ، واستبدل لى تذكرنى إلى بيروت . . حتى أذهب إلى بيروت وأبقى هناك إلى أن يفتح مطار القاهرة . .

واتصل الموسيقار بأخيه منير في بيروت ، وطلب منه أن يحجز لي بفندق « بريستول »
وأن يرعاني طوال غيابه عني . .

ثم قال يامدام سلوى أرجوك تعودي مع محمود إلى بيروت علشان تكوني في رعاية
محمود وأنا غائب ، وكمان أنت عارفه ظروف المستشفيات وبقائي فيها ، وأنا لأطمئن
في لندن لوحديك ولا أحب أن تكوني في أي فندق . . وأنا داخل المستشفى . .
لأني لا أطمئن عليك إلا إذا كنت أنا بجوارك . .

وعدت مع السيدة سلوى القدسي إلى بيروت وبقيت هناك ، وإذا برقية تصل بعد
أيام للأخ روبرت خياط ، وهو من أخلص أصدقاء الموسيقار الراحل ، بأن الموسيقار
عائد إلى بيروت بعد أن انتهت إقامته في المستشفى واطمأن الدكتور جيسون عليه .
ذهبنا إلى المطار ، كل أحباب فريد وأصدقائه ، لنستقبله . . ونزل علينا من
الطائرة سعيداً بعدوته سعيداً بنصر العرب ، ولحنى بين المستقبلين وضحك ضحكة
عريضة وقال :

- الحمد لله ، أنت لسه هنا ، دى فرصة عمرى أنى لقيتك موجود في بيروت ! .

قلت :

- ليه خير . .

فقال :

- خير . . أنا عايزك تقعد معايا كام يوم . . إن سعادتي لا حدود لها أن
أجد صديقاً يكون بجوارى . وأنت خير صديق . .

كان هذا هو فريد فعلاً

فلقد كان فريد الأطرش إنساناً عطوفاً ، يحب الخير ويسعى إليه ، وإذا سمع عن
صديق مريض سارع لزيارته ، وإذا سمع عن شخص في حاجة إلى مساعدة بادر
بمد يد العون له خفية . .

وأذكر في عام ١٩٦٦ كانت حالة فريد الصحية سيئة جداً ، وتورمت قدماءه ، وأصبح لا يقوى على الحركة . . حتى خشينا عليه أن تكون النهاية . .
ولسوء حظه كان في هذه الحالة السيئة ، والعمل جار في فيلم « الخروج من الجنة »
أمام الفنانة هند رستم ، وكان بين الشوت والشوت يخلع حذاءه ويتمدد على كرسي ،
ويرفع رجله إلى أعلى حتى يخفف الآلام وطلبت منه أن يتوقف عن العمل فقال : كيف
أقف يا محمود ؟ ! أنت شايف العاملين في الفيلم قد إيه ؟ ؟ والمؤسسة ذنبا إيه يتعطل
العمل في الفيلم ؟

والفنانون ذنبهم إيه . ماهو كل واحد عايز يخلص علشان عنده شغل تاني . . ولم
نجد بداً نحن أصدقاء فريد نرقب الحالة ونستشير الدكتور عوض إبراهيم ، إلا أن
الحالة زادت سوءاً وتضخم القلب ، وتضخم الكبد ، واتصل الدكتور عوض إبراهيم
بالموسيقار محمد عبدالوهاب الذى اتصل على الفور بى وعرف الحالة ، ثم بادر إلى
الاتصال بالدكتور محمد عبدالقادر حاتم نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة والإعلام
في ذلك الوقت ، والمسئول عن مؤسسة السينما حيث تتبع وزارته .

وكان الدكتور عبدالقادر حاتم رقيقاً إذ بمجرد سماعه الخبر ، ذهب إلى ستديو
نحاس بنفسه حيث يجرى العمل في الفيلم ، ودخل الدكتور حاتم ليفاجأ بالموسيقار
الكبير الراحل جالساً على كرسي وقد خلع حذاءه ، وسأله عن صحته ، فقال له الموسيقار
الحمد لله . .

ونظر الدكتور حاتم إلى المخرج ، وإلى المسئولين بالمؤسسة ، وأصدر قراره على الفور :
« بوقف العمل بالفيلم ، وتتخذ إجراءات سفر الموسيقار فريد الأطرش إلى لندن
للعلاج فوراً وعلى نفقة الدولة » .

وقال له الموسيقار : ألف شكر يادكتور . . وأنا أشكرك وأشكر الدولة . .
الحمد لله عندي مايكفيني ، بس كل اللي بطلبه هو أن تحول المبالغ اللازمة للعلاج

من مصر ، وأنا أدفع هنا القيمة بالجنيه المصرى ' . . .

فوافق الدكتور حاتم على الفور .

وبعد أيام تحسنت صحة الموسيقار وكنت فى باريس وخاطبته تليفونياً ، وطلب منى الحضور إلى لندن ، وفعلنا ذهبت لزيارته هناك ، واطمأن قلبي على صحته ، واستأذنته فى السفر للقاهرة لمناسبة عيد الأضحى الذى كان باقياً عليه عدة أيام ، فشدد على يدي وقال : مع السلامة بس فيه حاجة مهمة !

قلت له : خير . . .

قال : لاتنس أن تقوم بالواجب نحو إخوتي المؤلفين والملحنين الفقراء !

قلت : أى واجب ؟

قال : اخص عليك يامحمود ، نسيت . . العيدية . . كل سنة وأنت طيب . . الأيام القادمة عيد . . والمحتاج ينتظر ليكسى أولاده ويفرحهم . . أرجوك ادفع كالعادة وزود المبلغ شوية . . وقولهم . . ادعوا لفريد بالشفاء . . وإن شاء الله العيد القادم نعيد كلنا مع بعض فى القاهرة . .

وكان الموسيقار الراحل شجاعاً ، لدرجة التهور . كان دائماً يقول الرب واحد . . والعمر واحد وأذكر أنه فى عام ١٩٧٣ أصيب الموسيقار فريد الأطرش بداء « النقرس » وكان يأخذ أدوية كثيرة . . وفى أثناء وجوده فى القاهرة قاسى منه كثيراً ، وكان مرتبطاً بعمل فى بيروت ، وقرر السفر فى الموعد المحدد وحسب العادة المتبعة ، وعلى طائرة الشرق الأوسط التى تغادر القاهرة الساعة الرابعة إلا عشر دقائق بدأنا نستعد لسفر الموسيقار ، وذهبت إليه الساعة الواحدة بعد الظهر وجلسنا نناقش بعض الأمور الخاصة به ، ثم بدأ يعد حقايقه ، وكانت معه خطيبته السيدة سلوى القدسى وبدأنا طريقنا إلى الأسانسير . .

وقلت له : طيب أنا نازل أجيب سيارتى على الباب علشان ماتمشيش وتركب

على طول ، لأن النقرس مضايقتك ! .

فقال : طيب ، يا الله وأنا وراك على طول . !

ووقفت على باب عمارته عشر دقائق في انتظاره ونظرت نحو الأسانسير فوجدته في الدور العاشر ، وفي طريقه إلى الدور الأرضي وفجأة فتح باب الأسانسير ، ولقيت أحد العاملين في منزل فريد يبكي ويقول : الحق . الحق . الحق . اطلع فوق . . الأستاذ وقع على الأرض . . عاوزين دكتور اعمل معروف . !

فأخذت المصعد إلى الدور العاشر ، لأجد الموسيقىار الراحل جالساً على كرسي بجوار سريره ولونه شديد الصفار ، وفي حالة شبه انعدام وزن ، وكانت لهفتى على الموسيقىار وعلى حياته سبباً في أنني لم ألحظ شيئاً هاماً . . إذ كانت السيدة سلوى القدسى ممددة على الأرض ومغمى عليها ، وكلمنى الموسيقىار بصعوبة قائلاً : ماتخافش يامحمود ، الحمد لله فاتت على خير . . بس شوف سلوى . .

ونظرت إلى الجسد الممدد وتطلعت في الموسيقىار ، وارتبكت ، وبدأت أبحث عن الدكتور ، وناديت على أحد العاملين بمنزله ليعاوننى في رفع السيدة سلوى عن الأرض ، وبعد محاولات بدائية أفاقت السيدة سلوى ، وارتاح الموسيقىار وقال : يامحمود ، أنا جات لى دوحه . . ووقعت على الأرض . !

وقال : أنت عارف النور لما يكون ينسحب من اللبنة الكهربائية . . وتخفت شيئاً فشيئاً إلى أن يعود الظلام وينقطع التيار . . هذا ما شعرت به . . ووجدت نفسى والدنيا تدور بى . . والظلام يحيم على الحجرة ببطء شديد ، إلى أن أظلمت الدنيا كلها . . ولم أدر بنفسى إلا وأنا على الأرض ، ولم يستغرق ذلك نصف الثانية ، وغبت فترة أعتقد أنها لا تزيد على ثانية ، وفتحت عيني فإذا بى أجد سلوى ملقاة على الأرض . . فبدأت أتحمس جسدها وأنا فى شبه غيبوبة . . وحضرت أنت . . قلت : الحمد لله . . وحمد الله على السلامة . . واحنا طلبنا الدكتور

وزمانه جاى . .

وكانت المفاجأة عندما قال : دكتور ايه ؟ فاضل قد ايه على ميعاد الطائرة ؟
قلت له : مافيش سفر النهارده . وعلى أى حال لا بكلامك ولا بكلامى . .
ننتظر الدكتور وقراره !

فقال : أنا مسافر . . هاتوا الشنط أحسن الطائرة تفوتنى !
وبكى كل من فى المتزل ، وبكت السيدة سلوى وقالت : دخيلك يا أستاذ
محمود ماتخليه يسافر . .

فرد الموسيقىار : أنا مافيش حاجة . . مانت شباب يامدام سلوى ايه اللى
وقعك على الأرض . . بالله يامحمود نتوكل على الله . . ونزلنا .
وفى مطار القاهرة كانت المفاجأة ، إذ وجدنا الميكرفون ينادى الموسيقىار الكبير ،
وتوجهت إلى الموظفة المختصة سألناها : خير ؟ مين عايز الأستاذ فريد ؟ فقالت
مطلوب لإدارة المطار . .

وحضر أكثر من مسئول فى المطار ، وقالوا : اتصل بنا الموسيقىار محمد
عبد الوهاب ومعه الدكتور عوض إبراهيم الطبيب المعالج ، وطلبوا منع سفر الأستاذ
فريد لأسباب صحية ، ومحافظة على حياته . .

ورد الموسيقىار العنيد : اشكروا الأستاذ عبد الوهاب . . واشكروا الدكتور
عوض . . العمر واحد والرب واحد . . وابن تسعة لايوت ابن سبعة . . أنا
مسافر على هذه الطائرة .

وودعنا ، وقبلنا ، وركب الطائرة ، وفى المساء اتصل بى من بيروت وقال الحمد لله .
يامحمود العمر واحد والرب واحد . .

وفريد كان فى الواقع يتمتع بحاسة سادسة . . كما يقولون ، وكان يحس بأى شىء
قبل وقوعه وكانت له نظرة فاحصة فى من حوله يفتش عن شىء يخفونه عنه . . وكانت

هذه عادته لكثرة ماأخنى عنه من أخبار وأمور حريصاً على صحته . . وحتى لاينفعل فيؤثر ذلك على حالته الصحية . .

وأذكر أنه في عام ١٩٦٧ كنت في زيادة لبيروت ، وكان يقيم آنذاك بفندق « بريستول » بالجناح ٥١٦ ، وأنا بالغرفة التي بجواره ٥١٧ .

وكان المتبع أن أدخل عليه الساعة الثانية عشرة ظهراً ، فإذا كان نائماً أيقظته . . وإذا كان مستيقظاً نجلس نستعرض بعض الأمور الخاصة . . والعامة . . وذات يوم أيقظتني شقيقه فؤاد من النوم ، وكانت الساعة السادسة صباحاً وقال لي : أرجوك تنزل بسرعة . . .

قلت له : خير . .

قال : بس تعال ونتفاهم مع بعض .

ونزلت على عجل لأجد فؤاد الأطرش مرتبكاً وقال : والدتي ماتت ، ومش عارف أتصرف إزاي . . قلت : ندفنها والبقية في حياتك . .

قال : وفريد نعمل فيه أيه ؟

قلت : نسيه نايم لما يصحى في مياعده . . وبعدين رينا يدبرها . .

وذهبت مع الأخ فؤاد إلى بلدة « شوبت » في جبل لبنان ، حيث تم دفن المرحومة « علي . المنذر » وكانت مراسم الدفن جديدة على ، إذ وجدت شيوخ الدروز قادمين من كل مكان من الجبل ، وكانت عمائمهم البيضاء ملفقة للنظر ، وحملوا « النعش » على أكافهم وهم يكبرون بذكر الله ورسوله إلى أن وصلنا إلى المدافن ، وهناك وضعوا التابوت الذي بداخله جثمان الراحلة وبدءوا يصلون عليها صلاة الجنازة . . ويكبرون الله أكبر . . لاإله إلا الله . . محمد رسول الله . . ووضع التابوت داخل المقبرة . . وانصرفنا إلى منزل أحد أقربائنا .

وجلسنا في غرفة الاستقبال صامتين إلى أن قطع شيخ العقل الصمت وقال :

« العوض بسلامتكم » . . وهى عبارة مماثلة لما نقوله فى مصر « البقية فى حياتكم »
 ثم قال : الموت حق . . والحياة ممر وليست مقرأ . . وكل من عليها فان . .
 وعدت إلى فندق « بريستول » متأخراً عن الموعد المعتاد مع الموسيقار حوالى ساعتين .
 وعلمت من موظف الاستقبال أن الموسيقار الراحل سأل عنى كثيراً . . فتوجهت
 إلى غرفته فوجدته جالساً يقرأ بعض الصحف والمجلات ، سألتنى : كنت فى يامحمود
 . . أنا قلقت عليك . .

فقلت : والله كنت فى مشوار . . .
 فنظر إلى محاولاً أن يستشف شيئاً . . وكان يبدو على بعض الضيق . فسألتنى :
 إيه مالك يا محمود ؟

قلت : أبداً صحيت بدرى شوية . .
 وقررت أن أتحمل عبء مواجهة الموسيقار وأخطاره بفقد أمه . . أعز إنسانه
 فى الوجود بالنسبة لأى شخص .
 وعاد يسألنى : مشوار أيه ؟ هو أنت بتروح مشاوير من ورايا . .
 قلت : والله هو مش مشوار يخصنى . . إنما الصبح بدرى النهارده ذهبت إلى
 بلدة شويت » . .

فقال الموسيقار : « شويت » دى بلد ماما . . لازم حصلها حاجة . .
 فأحسست أن الموسيقار قد تهاى لسماع النبأ فرددت على الفور العبارة التى سمعتها
 من المعزين : العوض بسلامتك . . .
 وانفجر الموسيقار باكياً ، وصرخ إزاي ماحدث يقول لى . . إزاي أنت بالذات
 يامحمود ما تصحيش . . مع السلامة ياماما . . مع السلامة يامن قاسيت
 الأمرين حتى كبرت وإخوتى . . إنا لله وإنا إليه راجعون .
 وبكى ، وتركته يبكى . . إلى أن استراح . .

وقام ولبس ملابسه ، وطلب سيارة أحد أصدقائه وعدنا إلى قبر والدته . . ووضع على القبر باقة من الزهور . . وقرأ لها الفاتحة . . وظل يحاورها في صمت حيث كنت أسمع همساً يخرج من فيه . . وتركته واقفاً حوالى نصف ساعة . . إلى أن أحس أهل البلدة بوجود الموسيقى بينهم . . وبدءوا يتجمعون ، فأخرجوه من أمام قبر أمه . . وخرجنا إلى الساحة التى أمام القبر ، وتقبل الموسيقى العزاء فى والدته وانصرفنا . . وظل مكتئباً مدة طويلة . . برغم قولى له : الحياة ممر وليست مقراً . . وبقي فى غرفته بالفندق ثلاثة أيام لا يغادرها .

وأذكر أنه فى عام ١٩٧١ قام الموسيقى بإحياء عدة حفلات فى القاهرة وكانت الإسكندرية هى الختام . .

وفضل الموسيقى أن يسافر بالقطار وكنا ثلاثة : الموسيقى وخطيبته السيدة سلوى القدسى وأنا . .

وفى القطار من القاهرة إلى الإسكندرية . . قابل صديقاً عزيزاً عليه هو رجل الأعمال محمد بركات ، ووقف الرجلان يتكلمان ، وكان أول سؤال سأله الموسيقى لصديقه : إزاي كوثر ؟

وقال السيد بركات كويسة ، ولا زالت فى صحة يحسدها عليها الصغار .

و « كوثر » هذه فرس كان يملكها الموسيقى وباعها إلى صديقه بركات . . وكان يعتز بها هى وحصان آخر اسمه « فارس العرب » .

وسعد الموسيقى جداً بأبناء كوثر وقال لصديقه إن شاء الله أنا راجع من الإسكندرية بكره بالليل بعد ما اخلص من الحفلة . . وعلى فكرة أنت راجع أمتى ؟

فقال الصديق بركات : إن شاء الله بكره برضه . .

فرد الموسيقى : إذن نتقابل يوم الاثنين بمنزلى الساعة الثانية بعد الظهر ، ونتغذى سوى ونروح نشوف كوثر . . وفارس العرب .

فقال الصديق : إن شاء الله . .

وسلم فريد على صديقه وجلس ، وهمس الصديق في أذنى : أنا عاوزك . .
 وذهبت معه تتكلم ، فقال لى : يا أستاذ محمود ، أنا وقعت فى مطب دلوقت . .
 قلت له : خير ؟

قال : فريد أنت عارفه . . المواعيد . . مواعيد . . ولازم أكون عنده
 يوم الاثنين حسب الاتفاق . . لكن كوتر مانت بمرض النجمة منذ أسبوع . . -
 وهو مرض يصيب الخيل دائماً - . . وأنا عارف أن فريداً رايح يغنى . . وأنا عارف
 حبه للخيل . . وأنا عارف اعتزازه بكوتر لأنها فرصة كويسة وهو كان معجب بها
 ومتعلق فيها . . أعمل أبه دلوقت ؟
 فقلت له : خيراً ما فعلت . .

وعدت وجلست أمام الموسيقىار تتكلم فى الجو ، والحفلة ، وأستاذ الإسكندرية الذى
 تقام فيه الحفلة . . وجمهور إسكندرية ، وإيه اللى يغنيه فى هذه الحفلة ؟ ولكن
 الموسيقىار كان يحس شيئاً . . وكان يريد أن يسألنى عن حديثى مع الأستاذ محمد
 بركات . . إلا أنه كان حساساً لا يجب أن يسأل عن أى شىء . . ولا يدخل نفسه
 فى موضوع لا يهيمه . .

ووصلنا إلى الإسكندرية وغنى ليلتها الموسيقىار أغنية الربيع . . وكانت من أحلى
 المرات التى غناها . . وكان فى قمة الأداء . . وقمة السعادة . . وظل على المسرح
 ساعة ونصفاً . . يشدو بأغنيته ويتصرف ، وكان الطقس رائعاً . . وكان الجمهور
 رائعاً . .

خرج الموسيقىار من المسرح سعيداً . . ووعد جمهوره بأن يعود بعد استراحة قصيرة .
 وفى الغرفة التى كانت معدة لإستراحته ، كان الصحفي الكبير موسى صبرى يجلس
 معه ، ولاحظ أن الموسيقىار قد أرهقه الغناء فنهه من أن يغنى وصلة ثانية ، وعدنا إلى منزل

الموسيقار بالإسكندرية ، وجلسنا نتكلم ونبدى ملاحظتنا على التحفة . . وعلى الجمهور . . وعلى أداء الموسيقار . . وكان الموسيقار متضيقاً لأنه كذب على الجمهور ولم يعد له . . كما وعد . .

وبعد فترة بدأ الحديث في مواضيع أخرى وجاء ذكر الصديق محمد بركات . . فقال الموسيقار الراحل : ماتنسا يا محمود يوم الاثنين حنروح عند بركات نشوف كوثر . .

ورأيت أن من واجبي أن أخرج الصديق بركات من ورطته فقلت : والله المشوارده مالوش لازمة يا أستاذ ، خصوصاً وأن عندنا مواضيع أخرى ولازم نسمع تسجيل الحفلة أحسن . .

وهنا نظر إلى الموسيقار . . ووجه إلى سؤالاً : إيه اللي كان الأخ بركات يقولك عليه في القطار ؟

وكان السؤال غريباً منه ، إذا لم يتعود فريد أن يسأل عن شيء لا يخصه . . فقلت في نفسي إن حاسته السادسة بدأت تعمل ، وكانت فرصتي أن أخبره بأن كوثر ماتت . . ورأيت دمعة حائرة في عين الموسيقار الكبير ، وقال : أنا إحساسى ماخابش ، معاك أنا حسيت أن فيه حاجة . . ياخسارة كوثر . . حقاً . . الموت نقاد . . وهذا هو فريد . . صاحب القلب الكبير المريض ، أحب كل الناس . . وأحب حتى الحيوانات ، وليس غريباً عليه ذلك . . فلقد كان كله إحساس .

وربما من أجل هذه الحساسية كانت عصبية فريد تبدأ بمجرد أن يبدأ عمل . لقد كان الموسيقار الراحل قلقاً دائماً على فنه ، فإذا أقدم على إنتاج فيلم تجده عصبياً حاد المزاج . . وكانت العقبة التقليدية التي تصادفه دائماً هي القصة الجيدة . . وكانت له شروط دائماً في القصة : -

أولاً : أن يكون دوره في الفيلم مطرباً أو موسيقاراً . .

• ثانياً : أن تكون القصة عاطفية ، ولم يكن ليبخل في الإنفاق على القصة لأنه كان يعتبرها الأساس لأى فيلم ناجح .
وأذكر أنه بعد أن انتهى من فيلم « حكاية العمر كله » شرع في البحث عن قصة جديدة ، واتصل بصديقه الكاتب الكبير الأستاذ إحسان عبدالقدوس الذى تواعد معه على الزيارة دون أن يفتح له الموسيقى فى أى عمل ، وفى الموعد المحدد حضر الأستاذ إحسان لزيارته ، وكانت ليلة من ليالى الصيف . . وجلسنا فى شرفة منزل الموسيقى الراحل . . وبدأ الحديث شخصياً عن الحال والأحوال ، وكان الموسيقى متردداً فى مفاتيح الأستاذ إحسان فى الموضوع خوفاً من أن يرفض الكاتب الكبير ، وشدة حساسية من الموسيقى حتى لا يشعر الصديق الكاتب أن الزيارة . . زيارة عمل . .
وبدأ الموسيقى يتكلم عن الأفلام والإنتاج والأغاني . . وظروف مؤسسة السينما ، وعدم وجود إمكانيات الإنفاق على الأفلام كما كان يحدث فى الماضى ، وقال له الأستاذ إحسان :

ولماذا لا تعود للإنتاج يا فريد ؟ فرد الموسيقى : أنت عارف أسواق الفيلم المصرى أصبحت محدودة . . ومن الصعب أن أتحمّل مخاطر التسويق والإنتاج فى هذه الظروف ولكن . . إذا أنت عملت لى قصة كويسة ممكن أقول . . فريد الأطرش يعود مرة أخرى للإنتاج بقصة لإحسان عبدالقدوس . .
ورد عليه الأستاذ إحسان : شوف ياخى فريد ، أنت فاهم أنا أقعد أكتب قصص تفصيل . مش ممكن كتبت موجودة فى السوق ، ويمكن تختار منها الى أنت عاوزه . .
ورد فريد : ياأستاذ إحسان ، أنا شخصياً ما أقدرش اطلع على الناس فى فيلم ودورى فيه مهندس ، أو دكتور أو محامى . . الناس راح تضحك على . . وأنا مش حا أكون صادق . . لأن دورى فى الحياة ليس مهندساً ، أو دكتوراً ، أو محامياً أنا فنان . . ولازم أكون فناناً فى الفيلم علشان يكون فيه صدق . .

فقام الأستاذ إحسان : كلامك صحيح يا فريد . . لكن ليس في استطاعتي أن أكتب حاجة متفصله عليك . .

وبعد انتهاء زيارة الأستاذ إحسان ، جلس الموسيقار مهموماً وقال : شفت إزاي يامحمود . . دائماً العقبة اللى بتصادفنى هى القصة . . وأنا مش ممكن أقدم على عمل أنا غير مقتنع به . . تصور أنا اطلع فى فيلم واقف زيک واقول : يا حضرات المستشارين . . مش معقول . يبقى وقار فى المحكمة ، وبعد خمس دقائق أقابل البظلة وأروح أغنى حد يصدقنى بدمتك . .

وقلت له : عندك حق ياأستاذ فريد . . وعلى أى حال نبحث عن قصة . . وظل البحث جارياً إلى أن وجد قصة الكاتب الكبير توفيق الحكيم . . « الخروج من الجنة » والقصة معروفة ، وإذا كان الموسيقار قد وفق فى قصة ، فإن هذا كان لا يرضيه . . كان دائماً يقول لازم يكون عندى على الأقل قصة أو اثنين جاهزين لأن الأغانى مش سهل الواحد يحطها فى الفيلم ، لازم يكون الموقف مناسب للأغنية ، وكلام الأغنية مناسب للموقف . . ودى مسألة تأخذ وقت . .

وبدأ الموسيقار تصوير فيلم « الخروج من الجنة » وبدأت متاعب البحث عن قصة جديدة حتى تكون احتياطى لديه .

وبعد طول البحث لم يجد القصة التى ترضى مزاجه وتحقق أهدافه ، وعرض فى المنزل عشرات الأفلام الأجنبية التى تدور بطولتها حول حياة فنان ، وجد أن قصة فيلم « دادى لونج لجز » مناسبة له ، واتصل على الفور بالأستاذ يوسف جوهر لاقتباس القصة ، وبعد الانتهاء من القصة ، اتفق مع السيناريست محمد أبويوسف على أن يكتب السيناريو والحوار ، وبعد عمل مرهق لمدة ثلاثة شهور دفع فيها الموسيقار كافة الأتعاب اللازمة لكاتب القصة والسيناريست قال : العمل اللى قاموا به الجماعة كويس وممتاز . . لكن هذا ليس الذى كان فى خيالى . . اللى كان على الشاشة

في الفيلم الأمريكي حاجات إنسانية . . وحاجات تحلى المتفرج مشدود بالفيلم . .
لكن للأسف يبدو أن الاقتباس عملية صعبة . .

وبدأت البحث عن قصة جديدة . . وقال له المخرج هنرى بركات : فيه
قصة كوبسة اسمها إيريانا فتاة روسية ! ! وأنت مسافر باريس ابحث عن هذه
القصة وهي تصلح لك مائة في المائة . .

ويسافر الموسيقار إلى فرنسا ، وتصادف أن كنت في عمل لجمعية المؤلفين في باريس ،
والتقينا ، ولاحظت في صمت تام أن الموسيقار الراحل قد كتب اسم القصة لأكثر من
شخص . . حتى موظف الإستقبال بفندق « جورج سانك » ورصد له مكافأة
قدرها ثلاثمائة فرنك فرنسي جديد إذا أحضر له القصة . . وكان في خروجه ودخوله
من وإلى الفندق يسأل . . وقلت له : طيب أديني اسم القصة .

وأخذت الاسم . . وذهبت إلى رصيف « سان ميشيل » بالبحى اللاتينية في باريس
وبدأت البحث من العاشرة صباحاً حتى الثالثة بعد الظهر دون جدوى ، وظهرت أمامي
خيبة الأمل التي سيسمنني بها الموسيقار عندما أخبره بأنني لم أجِد القصة . . ومشيت
في شوارع البحي اللاتينية . . وبيجوار جامعة فرنسا العتيقة « السوربون » وجدت محلاً
صغيراً لبيع الكتب المستعملة ودفعت إلى صاحب المكتبة باسم القصة ، وكان رجلاً مسناً
سألني : مالذي ذكرتك باسم القصة الآن ؟ فقلت له : الحقيقة أن لي صديقاً فناناً
يبحث عنها ! !

فقال الرجل : هل هناك نصف ساعة تجلس معي هنا . . وسأبحث لك
عنها . .

وبدأ الرجل يبحث في رفوف المكتبة ، وبعد ساعة قال : عندك حظ . . وعند
صديقك حظ . . وجدت لك نسخة . . هل تعرف آخر مرة طبع فيها
هذه القصة ؟

قلت : لا . . .

قال : عام ١٩٢٥ . . .

ودفع لى بالكتاب ، وضعت أمامه المبلغ الذى طلبه ، وانصرفت وأنا أطيّر من الفرح ، لقد حققت للصدّيق الموسيقى شيئاً ، ودخلت عليه فى الفندق فوجدته نائماً . . كيف تأخرت عن موعدى معه . . وقلت : والله الموضوع كان مهم شوية ! وأخرجت من وراء ظهري القصة ، ودفعت بها إليه . . وما إن قرأ عنوانها حتى تهلل وجهه ، وزال غضبه ، وكان نصيبى قبلة على جيبى . . وخمسمائة فرنك فرنسى جديد مكافأة على هذا العمل العظيم . .

وقال الموسيقىار : الحمد لله ، الأستاذ هنرى بركات قال إنها حاجة كويسة . . وجلس يقرأ القصة ونسى الغداء ونسى المواعيد ، وحملها وطار إلى بيروت . . وكان فيلم « الحب الكبير » . وهذا هو الفنان الموسيقىار فريد الأطرش ، يظل قلقاً ولا يهدأ إلى أن يجد ما يرضيه . رحمه الله . .

محمود لطفى

